الفعل الكلامي النصّي عند فان دايك

م.د. محمد مهدي حسين

كلية التربية / جامعة ميسان

الايميل : mohammed.mahdi@uomisan.edu.iq

المستخلص

يهدف البحث إلى إثارة مسألة أفعال الكلام عند فان دايك، وكيف عالج هذه المسألة على وفق متبنياته المعرفية والثقافية، ولاسيما ما يتعلق بالفعل الكلامي النصّي، وهو مصطلح يكاد ينفرد به فان دايك، فضلاً عن تناول بعض التساؤلات المتعلقة بمعالجته للفعل الكلامي وبالخصوص جمعه للغة والفلسفة وعلم النص والتداوليات في فهمه لأفعال الكلام.

الكلمات المفتاحية : الفعل الكلامي ، الجملة ، النصّ ، الخطاب ، الحجاج .

Abstract:

The research aims to raise the issue of Van Dyck's speech acts, and how he handled this issue according to his cognitive and cultural constructs, especially with regard to the textual verbal act, a term almost unique to Van Dyck, as well as addressing some questions related to his treatment of the verbal act, in particular his collection of language, philosophy and science Text and pragmatics in understanding speech acts.

التمهيد

العمل اللغوي بين الفهم الفلسفي والفهم اللساني

إن الحديث عن نظرية الفعل الكلامي يستدعي حديثاً عن العلاقات المتداخلة بين حقلي اللغة والفلسفة؛ فتجذّر نظرية الفعل الكلامي في الفلسفة يعود إلى النظرة الفلسفية لماهية اللغة؛ فاللغة في تصوّر الفلاسفة تختلف عن التصور اللساني لها.

فالتصور الفلسفي ينظر إلى اللغة بوصفها ظاهرة كبقية الظواهر الوجودية التي يتعامل بها الإنسان، ولا نعني بذلك أن الفلسفة تتخذ من اللغة حلّاً لمشكلات فلسفية، بل : كيف يدرك الإنسان الواقع من خلال اللغة ؟ ولذا عالج الفلاسفة مسألة (الصدق) أو التطابق في العبارات اللغوية من خلال منظور فلسفي وعلاقتها بالواق المعاش ،وقد فُسِرت المطابقة بأنها ((التماثل بين ... القضايا ووقائع العالم))[١].

ولذا فقد شغلت هذه المسألة أفكار الفلاسفة في التطابق بين اللغة والواقع، ومتى يحدث عذا التطابق ؟ وكيف يحدث؟ وهل توجد عبارات غير متطابقة؟ وكانت هذه الأسئلة التي أثارها الفلاسفة هي البذرة الأولى لنظرية الفعل الكلامي التي بدأت بشكل صريح مع أوستن الذي قرّر أن القول بأن إحدى العبارات صحيحة يعني أنّ حدثاً كلامياً يرتبط بطريقة معينة بالعالم[٢].

وقد شكّل هذا الأمر انعطافة كبيرة في الفلسفة بعد ما كانت تنظر إلى اللغة بأنها تصف الواقع أو تسجل وقائع معينة، لذا كان لبروز أوستن ثورة كبيرة في هذا المجال، ((أما الفلاسفة فطالما توهموا حينما افترضوا أن شأن الحكم في القضية إما أن يصف حالة شيء ما وإما يثبت واقعة عينية))[٣]؛ فاللغة في مرتكزات أوستن لا تقتصر وظيفتها على الوصف أو لإخبار وهو ما يُسمَى بالمغالطة الخبرية التي ((مفادها أنّ اللغة أو المقولات التي يتداولها مستعملو اللغة شفاهة وكتابة لا تستعمل سوى لوصف حالة معينة أو للتصريح بحيقة معينة))[٤]، فبدأ مع أوستن عصر جديد في فلسفة اللغة؛ إذ انطلق من الفعل الكلامي، ورأى أن المتكلم عندما يتحدث فإنّه ينجز فعلاً ما ، وبذا نتجاوز مسألة الحدود في الجملة وبنائها، فالمهم في نظرية الفعل الكلامي هو التواصل بين الطرفين وإنجاز الفعل بالشكل الصحيح.

وهذا ما أكده سيرل الذي تابع أوستن في نظرية الفعل الكلامي حينما أكّد أنّ ((كلّ تواصل لغوي يستدعي أعمالاً لغوية))[٥] ، فقد أعطى سيرل صفة التواصل لنظرية العمل اللغوي ، ومن ثم فالتواصل لا يتمّ بعدِّ الجملة

---

[١] - فلسفة اللغة والمنطق دراسة في فلسفة ستراوس: ٧٣.
[٢] - المصدر نفسه: ٧٤.
[٣] نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام):١٣.
[٤] - نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية:٤٠ .
[٥] - الأعمال اللغوية بحث في فلسفة اللغة: ٣٩ .

رمزاً للتواصل بل بما يُنجَز من أعمالٍ لغوية، لذا عرّف سيرل العمل اللغوي بأنّه ((الوحدات الأساسية أو الدنيا للتواصل اللغوي))[١].

ولعل ما أشار له سيرل يؤكد نظرته الثاقبة فيما يتعلق بالفعل اللغوي، فالسامع عند سيرل لا يهتم للشكل النحوي فحسب أو مجرد بناء الجملة بقدر ما يهتم بما ينجزه المتكلم من أفعال لغوية، وبهذا فقد تمّ طوي صفحة كاملة في النظر إلى اللغة بعدما كانت يُهتَم بها على أساس التقسيمات والتفريعات المنطقية.

وقد أكّد فان دايك أنّ التحليل السليم لأفعال الكلام يتوقف على فهمِ معنى الفعل ، وهو في الوقت نفسه يربط بين بنية الفعل الكلامي وبين التأويل السيمانطيقي والطرف الثالث للخطاب[٢].

من الجملة إلى النصّ:

المتتبع للدرس اللغوي الحديث يجد أن الجملة قد شكلت الشكل اللغوي المستقل لفترةٍ طويلةٍ جعلت منها ((المحور للدرس اللغوي باعتبارها الوحدة الأساسية للكلام))[٣]، يقول فان دايك: ((كثيراً ما يقف النحو واللسانيات التقليدية عند وصف الجمل وصفاً يستند إلى المكونات النحوية))[٤]، وظلّ هذا الأمر مستمراً حتى ظهور علم اللغة النصّي الذي كان نتيجة طبيعية لعمليات تطور البحث اللغوي الجملي، فذهب بعض اللغويين إلى ((ضرورة توسيع علم اللغة ليتجاوز علم اللغة النسقي المحصور في الجملة ... إلى علم لغة النصّ او ما فوق الجملية في إطار فرضية التوسّع التي تتحدد فيها النصوص بكونها وحدة أعمّ من الجملة))[٥]، ويُذكَر في هذا المجال محاولاتان منفردتان لدراسة تراكيب ما فوق الجملة ظهرتا في الفترة الممتدة إلى أواخر الستينيات ((إحداهما قام بها ((هاريس ١٩٥٢، والأخرى قام بها ميتشل(1957) ، وعلى الرغم من عنوان مقالة هاريس الواعد (تحليل الخطاب)، إلا إنها كانت مخيبة للآمال؛ لأن العمل وفقًا لتقاليد (البولومفيدية) أنتج طرقًا شكلية لتحليل الحديث أو الكتابة))[٦].

وحين نقف على ما قدمه فان دايك نجد أنّه عمل على إقامة تصور متكامل حول (نحو النص) منذ ١٩٧٢م ، حيث ظهر كتابه «بعض مظاهر أنحاء النص ، حتى عام ١٩٧٧م الذي شهد ظهور كتابه «النص والسياق،. إذ بدأ ينطلق من تحليل «سيكو لساني» للخطاب والنص رابطًا بين الدلالة والتداولية[٧]، وسعى إلى

---

[١] - المصدر نفسه والصفحة نفسها

[٢] - ينظر: النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي: ٢٢٧.

[٣] - تحليل الخطاب، براون ويول: ٢٦ .

[٤] - النصّ بنياته ووظائفه: ٥١ .

[٥] - مدخل إلى علم اللغة النصي، فولفجانج هانيه: ٢٣.

[٦] - التناول الحداثي للخطاب الشرعي الإسلامي وإشكاليات المنهج: البدائل المستعارة، د.عزوز بن عمر الشوالي، منشورات مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، مجمع الأطرش للكتاب المختص، ط١، ٢٠١٧: ٣١٤. وحقيقة أنّ هاريس قد حقق نقلة مهمة في مجال تحليل الخطاب اعتمدت على أمرين؛ هما: ضرورة الانتقال من الجملة إلى النصّ، وضرورة ربط النصّ بالموقف الاجتماعي.

[٧] - ينظر: انفتاح النص الروائي، سعيد يقطين: ١٤ .

((إقامة نحو عام للنصّ يأخذ بعين الاعتبار كل الأبعاد البنيوية والسياقية والثقافية من خلال الجوانب الدلالية والتداولية))[١]، فقد عمل فان دايك على الجمع بين علم اللغة النصّي والتداولية، لذا سعى إلى الجمع بينهما فنتج عن ذلك توسعٌ في كلا العلمينِ عن طريق توظيف مقولات نظرية الفعل الكلامي في تحليله للنصّ فكانت النتيجة (النصّ كفعلٍ كلاميّ) .

فقد ظلّ الفعل الكلامي حتى ما قبل منتصف السبعينيات يُنظَر إليه على أنّه إنجاز للفعل بصورة إفرادية، وهذا ما تقرّه الدراسات التي تناولت هذه النظرية[٢]، فقد ((طُوِّر في منتصف السبعينيات نموذج أساسي في علم اللغة النصّي، فُهمت اللغة من خلاله بوصفها شكلاً خاصّاً من الاتصال الاجتماعي أو السلوك البشري))[٣]. ولذلك بقيت نظرية الفعل الكلامي في إطار الجملة، وهذا ما اهتمّ به أوستن وسيرل؛ إذ كان عملهما منصباً على الإطار الجملي عادة ، وتصنيف الأفعال الكلامية ، وإيجاد الشروط الملائمة لها . ويبدو هذا الأمر طبيعياً ، لأن هذين العلمين جعلا اهتمامهما منصباً على تأسيس نظرية الفعل الكلامي وإيجاد مرحلة مفصلية في البحث الفلسفي اللغوي.

إلّا أننا نجد خلاف ذلك عند فان دايك الذي لم يكن من مجال اهتمامه التقسيمات الكلامية أو الشروط التي وضعها أوستن وسيرل ، وهذا لا يعني الخروج عنها أو إهمالها بل عملَ على توظيفها في مجالٍ آخر هو (النصّ) ، وهذه هي الغاية التي يرجوها في دراسته للأفعال الكلامية.

وهنا يمكن طرح بعض الأسئلة المفصليّة ، وهي: هل يُعدّ ما جاء به فان دايك ابتكاراً له؟ هل هناك مسبقات لعمله هذا ؟وهل ما جاء به أوستن وسيرل يبقى في الإطار الجملي؟ أو هو فهم الباحثين لهذا المسألة ؟

وفي معرض الإجابة عن هذه التساؤلات يمكن افتراض أن أوستن وسيرل قد أشارا إلى مفهوم الفعل الكلامي النصّي من حيث المفهوم فقط لا المصطلح ، بمعنى أن إنجاز الفعل الكلامي سواء أكان على مستوى الجملة أم مستوى النصّ هو مسألة مفروغ منها –ذهنياً– عند أوستن وسيرل، لأنّه انجاز ما نقول، لذا فما أخذه (إيزنبرج) على سيرل بأنّه ((لا يدرك دمج أفعال الكلام في أنظمة للأنشطة أكثر تعقيداً))[٤]، قد يكون في مجال التطبيق فحسب.

مفهوم الفعل الكلامي النصّي

[١] - انفتاح النص الروائي، سعيد يقطين: ١٥ .
[٢] - ينظر: مدخل إلى علم لغة النصّ مشكلات بناء النص: ٢٨- ٢٩ .
[٣] - علم اللغة النصّي : ٦٢ .
[٤] - ينظر: مدخل إلى علم لغة النصّ مشكلات بناء النص: ٢٩ .

دار الحديث بعد أن ألّف فان دايك كتابه (النصّ والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي) عمّا يُسمى (الفعل الكلامي النصّي)، وهو مصطلح لم يشر إليه أحد قبله، إذ أراد فان دايك من خلاله أن ينقل نظرية الفعل الكلامي إلى حيّز اللغة بعد إن كان في أحضان الفلسفة .

والمطلع على مسارات نظرية الفعل الكلامي يجد أنها عرفت تطورات مختلفة في نوعية الدراسة ، ويعدّ فان دايك من أهمّ منظري هذه النقلة النوعية في الفعل الكلامي الجزئي على يد أوستن وسيرل إلى الفعل الكلامي النصّي بوصفه سلسلة من التتابعات تخدم فعلاً تداولياً شاملاً[١]. لذلك دعا فان دايك إلى استثمار المقولات الكلامية في تحليل النصّ، وتحليلُ النصّ على وفق نظرية الفعل الكلامي الكلّي هو ((التحليل الذي ينظر فيه رواده إلى النصّ ليس كمتوالية من الجمل ذات الطبيعة الدلالية ، بل يُنظر إليه كمتوالية من الأفعال الكلامية المتعلقة بفعل كلامي كلي يقوم على إنجازٍ معين))[٢].

والمتأمل في النصّ أعلاه يجد أنّ الباحث لم يفرق بين متوالية الأفعال الكلامية وبين الفعل الكلامي النصّي الكلي، فمتوالية الأفعال الكلامية تتكون من مجموعة من الأفعال الجزئية المفردة والمركبة ، أي لها أفعال متعددة من حيث الوعد والطلب والأمر وغيرها. وهذه المتوالية قد وضعَ لها فان دايك ضابطاً أو قاعدة سليمة تحكمها ، لذلك لا بدّ من طبيعة تلك المتواليات ((يبقى أن نفحص بإمعان طبيعة متواليات أفعال الكلام، وفي نظرنا كنّا سلمنا بوجود أفعال كلام مفردة ومركبة ، وأيضاً يمكن أن نسمي هذه الأخيرة إمّا مؤلفة أعني أنها تقوم على عناصر لأفعال المكون من نفس المستوى ، وأمّا معقدة إذا صارت جزءً أو أجزاء داخلة في عناصر الأفعال الكبرى))[٣].

فالنصّ متواليات أفعال الكلام تتألف من مجموعة أفعال كلامية مفردة أو جزئية ، وهذه المتواليات تتضام لكي تحدث لنا فعلاً أو حدثاً كلامياً يفهم من خلالها ((.. تكون لدينا متواليات من أفعال الكلام إلّا أن بعضها يمكن أن يؤول كفعل كلامي واحد يقوم من عناصر كثيرة أو من أفعال مساعدة))[٤]. ولذلك وظيفة متواليات الأفعال الكلامية هي الوصول إلى الفعل الكلامي النصّي أو الشامل الكلي بحسب تعبير فان دايك، ولكن تبقى متوالية أفعال كلامية ليست هي الفعل الكلامي الكلّي (النصّي).

فالفعل الكلامي الكلّي لا يخضع للإجراء الدلالي أو المستويات اللغوية بل يخضع ويُفهم من خلال التداولية فقط ولاسيما السياق الخارجي، أي له محددات خاصة يُفهم من خلالها ، لذلك أكّد فان دايك أنّ الفعل الكلامي الكلي لا يبقى كلياً في المواقف كلّها بل يتغير بحسب المكونات الخارجية أو التي تحيط به[٥].

---

[١] - ينظر: التداولية في البحث اللغوي والنقدي: ٣٠٠ .
[٢] - المصدر نفسه: ٣٢١ .
[٣] - النصّ والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي : ٢٨٧ .
[٤] - المصدر نفسه: ٢٨٧ .
[٥] - ينظر: المصدر نفسه: ٣١٣ .

وهذا لا يعني أن الفعل الكلامي النصّي لا يتأطر بإطارٍ معين أي إنّه يتغير بتغيّر الظروف والملابسات الخارجية ، بل معنى ذلك أنّ الوصول إليه وتحرير معناه متغير بحسب الوقائع الخارجية، فقد يكون في منطوق ما كلياً وتمهيدياً أو جزئياً في موضع آخر.

ومفهوم الفعل الكلامي النصّي عند فان دايك أو الخاص بأفعال الكلام الإنجازية المتنوعة تنوي قصداً أو تخطيطاً ، وتُفهم – ومن ثم لها وظيفة مجتمعية – كما لو كانت فعلاً إنجازياً واحداً، وفعل الإنجاز هذا مما يُنجَز بوساطة متوالية من الأفعال الكلامية يجوز أن نطلق عليه الفعل الكلامي الشامل أو الفعل الكلامي الكلي[١].

إذ إنّ الفعل الكلامي الكلي له معنى قصدي، والقصدية تتعلق عادةً بالهدف المنشود أو الموجه نحو هدفٍ معين، وهذا يعني أنّ الفعل الكلامي الكلي قد خُطِطَ له مسبقاً أو هو يُفهَم من السياق العام للنصّ، فالمثال الذي أورده فان دايك يؤكد لنا ذلك:

أ–شخص على سماعة التلفون: ألو ؟

ب– نعم بتر إنّي أنا هو جاك .

أ–أهلاً جاك، كيف أنت؟

ب–جيد، اسمعْ يا بتر ألا تزال لديكم تلك الدراجة القديمة التي لجيني ، والتي لم تعد تستعملها قط؟

أ–نعم ، لماذا؟

ب–طيب، أنت تعلم أن لورا ابنتنا العزيزة علينا سيكون عيد ميلادها في الأسبووع القادم وهي تحتاج إلى دراجة، واعتقد أنّ جيني؛ إذا لم تستعمل تلك الدراجة قط فلربما استطيع أن أشتريها منها ، ثم أعمل على صيانتها، وأقدمها إلى لورا كهديةٍ لعيد ميلادها.

أ–إنّه لا اعتراض من جانبي، وبطبيعة الأمور لا بدّ أن أسأل جيني عن ذلك ، وأنا متأكد بأنها ستكون مسرورة بمساعدتك، فمتى تريده؟

ب–ما أشدّ لطافتك، هل سأزوركم عابراً في الغد وأسأل جيني؟

أ–متفق. إلى الغد

ب–إذن أودعك وأشكرك.

[١] - ينظر: المصدر نفسه: ٣١٦ .

أ–وداعاً [١].

يؤكد فان دايك على أن هذا الحوار المتكلف نوعاً ما والمشتمل على عدّة أفعال فردية ومتوالية مثل التحية، السؤال ، والشكر، والافتراضات وغيرها لكن يمكن أن نصل إلى المعنى الكلي لأفعال الكلام هو (الطلب)[٢]. أي إن الفعل الكلامي الكلي في النصّ أعلاه يمكن فهمه على أنّه طلب الدراجة.

ويمكن القول إن الفعل الكلامي الكلي هو اختزال مجموعة من الأفعال المتوالية والعديدة في فعل كلامي فردي ، فالطلب في الحوار أعلاه يتألف من مجموعة أفعال متنوعة ولكن الفعل الكلامي الكلي المتحقق في الحوار أعلاه هو (الطلب)، والطلب يمكن أن يتحقق في فعل كلامي فردي. فالفعل الكلامي (من فضلك اغلق النافذة) هو طلب أيضاً ، وهذا الطلب متحقق بفعل كلامي فردي.

إذن كيف يتمّ التمييز بين الطلب المتحقق بالفعل الكلامي الكلي، والطلب المتحقق بالفعل الكلامي الفردي؟

نلحظ أن الطلب المتحقق عن طريق الفعل الكلامي الكلي يكون قائماً على استراتيجيات معينة تختلف باختلاف السياقات التخاطبية (التداولية)، وهذه الاستراتيجيات مرتبة بشكلٍ عام في ذهن المتكلم لغرض التأثير في المخاطَب أو إقناعه ، وهي عامة لأنّ المتكلم ليس له أن يتنبأ بردّ المخاطب بشكل دقيق وتامّ ، ولكن هذه الاستراتيجيات لها مقاصد عدّة تخدم هدفاً واحد هو (طلب الدراجة) في الحوار أعلاه.

أستراتيجية حجاجية: تتمثل في السؤال التمهيدي الذي وقف عليه المتكلم لغرض إقناع المخاطَب في بيع الدراجة ، وقد تمثل في كون الدراجة قديمة وإنّ ابنته (جيني) لا تستعملها قط ، فمع كون هذا السؤال تمهيداً لبناء السياق الطلبي إلا أنّه في الوقت نفسه جعل المتكلم متأكداً من أن الدراجة لا تزال في حوزة المخاطَب.

استراتيجية تأثيرية: ونقصد بها التأثير الذي يسعى المتكلم إلى تركه في المخاطَب لغرض التعاطف معه واستمالته في الموافقة على طلبه، ويتمثل هنا في الاستنتاج الذي من الممكن أن يتوصل إليه المخاطب من خلال الوقوف على سبب طلب الدراجة القديمة ، وهذا يعني عدم امتلاك ابنة المتكلم لأي دراجة، فضلاً عن عدم امتلاك أن المتكلم للمال الكافي لغرض شراء دراجة جديدة لابنته في عيد ميلادها، وكلّ هذه الأمور تدعم نجاح الطلب وتحققه.

–صياغات اللطافة والأدب التي استعملها المتكلم من خلال ما تضمنه الحوار من عبارات التأدب ، فضلاً عن استعمال الأسئلة غير المباشرة القائمة على الالتماس واللياقة الأدبية العالية لغرض تحقيق المطلوب .

فكلّ هذه الأمور وغيرها تمثل ((خطّة استراتيجية لما نقوم به كلّ يوم لحاجتنا إلى إعطاء حلول للمشاكل حتى نستطيع أن ننفذ كلّ فعل يكتسي صفة الأفضلية))[١]

[١] - المصدر نفسه: ٣١٦- ٣١٧ .
[٢] - المصدر نفسه: ٣١٧ .

ولكن يبقى ظهور مثل هذه الفوارق يكون بشكلٍ أوضح في الخطابات الحوارية أكثر ممّا يبدو في الخطاب ذي الاتجاه الواحد الصادر من متكلم إلى متلق عام ، ويبقى التأويل هو المائز المهم في هذه الحالة، لذا يمكن القول إنّ إجابة فان دايك ليست إجابة لغوية ثابتة، وإنما أعطى بعض ما لاحظه من خلال تلك النصوص، فالحوار وإثبات الهوية ورعاية التواصل كلّ ذلك يؤدي إلى بناء السياق الطلبي[٢].

وهذا ما يعني أن الفعل الكلامي الكلي يخضع لمسألة مهمة هي التأويل، أي تأويل النصّ بهدف الوصول إلى المعنى الكلي ، ((إنّ التأويل التداولي الإجمالي لنصّ ما، أي تحديد الأفعال الكبرى اعتماداً على متتاليات من الأفعال اللغوية، مهمٌ في الإعداد المعرفي (البرمجة) لمتتاليات أفعال اللغة وتنفيذها وتوجيهها وتأويلها))[٣].

لذا يبدو أن الفعل الكلي لا يُفهَم من خلال متواليات الأفعال فحسب بل من عن طريق السياق الخارجي ، لأننا إذا أبقينا الكلامي الكلي على وفق متواليات الأفعال ستظهر مشكلة المطابقة من عدمها ، أو بتعبير أدق مشكلة القوة الإنجازية الكلية من عدمها. وهي مشكلة لا يمكن التخلص منها إلا إذا فهمنا الفعل الكلامي من خلال ما يحيط به من ملابسات.

موجهات تحديد الفعل الكلي

وسنقف هنا على المحددات التي ذكرها فان دايك ، وبعضها ممّا لم يرد ذكرها لديه:

١-جنس الخطاب : الذي نقصده هنا بجنس الخطاب لا يشترط في أنها أدبية فقط، ففي تحليل الخطاب والتحليل النصّي ((نجد هذا المفهوم مطبقاً أيضاً على نصوص غير أدبية. لكن تتعايش هنا بل حتى تتعارض تحديدات مختلفة يشهد كلّ منها على التموقع النظري الذي ترتبط به))[٤]، مع صعوبة تصنيف هذا التموقعات المختلفة سواء أكانت وظيفية أم نصّية أم تواصلية أم تلفظية.

فإدراك المتلقي لجنس الخطاب الموجّه إليه يمنحه عدّة أمور، منها إمكانية إيجاد التأويلات المناسبة لجنس ذلك الخطاب، فضلاً عن إيجاد الفعل الكلامي الكلي المناسب له، ((مثال ذلك خطبة انتخابية تكون قيمتها التداولية الجملية هي قيمة التحضيض الممثلة لـ((صوتوا لفائدتي))[٥].

٢-الأفعال المساعدة: الفعل المساعد ((هو كل فعل تُقصد نتيجته كشرطٍ كافٍ لنجاح الفعل الرئيسي (أصلي)))[٦]، فهذه الأفعال تؤكد على ضرورة التوازي الحاصل بين الأفعال الكلامية الصغرى (الجزئية) والأفعال الكلامية

---

[١] - النصّ والسياق: ٣٢٢ .
[٢] - ينظر: المصدر نفسه : ٣١٨ .
[٣] - النصّ بنياته ووظائفه: ٦٨ .
[٤] - معجم تحليل الخطاب: ٢٧٠ .
[٥] - معجم تحليل الخطاب :٢٢ .
[٦] - النص والسياق : ٢٤٠ .

الكبرى (الكلية) ، وهذا ما أكّده موتش/ فيهفيجر ((من أنّه يجب أن يوجد في كلّ تتابع أحداث لغوية (وأيضاً بالطبع في النصوص الكبيرة) على الأقل إنجاز نظري واحد يعطي دور المقصود من السلسلة بأكملها. يقوم هذا الإنجاز النظري بدور الإنجاز النظري المسيطر، بينما تُنسَب إلى البقية وظيفة مساعدة؛ فهي (تساعد) الإنجاز النظري المسيطر كأن توضح على سبيل المثال تعليلات حول عملية الرجاء))[١]، والمقصود بالإنجاز النظري هو الفعل الكلامي الثاني الذي يشير إلى (الفعل المتضمن في القول).

٣- موضوع الخطاب: لموضوع الخطاب أثر كبير في تحديد الأفعال التداولية للخطابات، لأنّ ((لهدف العام للنصّ يُحقَق عبر أهداف جزئية تشكل شروط الوصول إلى الهدف العام؛ وبذلك يأتي لكلّ إنجاز نظري مفرد وظيفة خاصة في إنجاز النصّ النظري))[٢]. والهدف العام للنصوص لا يُحدَّد بواسطة نمط الحدث السائد (الرجاء، الوعد..) فحسب، بل تتداخل في ذلك أيضاً ردود الفعل النفسية المتوقعة من السامع (مثل: الاعتقاد، تلقي الإهانة[٣].

فحضور موضوع الخطاب في ذهن المتلقي واستعداده الذهني والمعرفي لهُ يُسهل عليه بشكل كبير تحديد فعله التداولي الكبير الذي يدور حوله.

٤- استراتيجية الخطاب: يمتاز كلّ عملٍ لغوي بالقصدية والتوجيه نحو هدفٍ ما لابدّ للمتكلم فيه من استراتيجية معينة تخدم ذلك الهدف، و((انطلاقاً من الهدف العام بعض الأهداف الجزئية والأحداث الجزئية المناسبة ... وينتج عن ذلك هرمية الإنجاز النظري في النصوص التي تُعرف بواسطة الأحداث السائدة من مختلف المستويات ومن الأحداث المساعدة لكلٍّ منها))[٤].

٦-مرجعيات المتلقي: تتحكم مرجعيات المتلقي (الثقافية والعقدية وغيرها) في تحديد الفعل الكلي للنصّ، فالمتلقي لا ينطلق في استقباله للنصّ من فراغ بل يعتمد على الخزين التراكمي في فهم النصوص وتأويلها وإيجاد الفعل الكلامي الكلي لها .

ويدخل ضمن هذه المرجعيات أيضاً نظرة المتلقي للمتكلم ،يقول فان دايك: ((إنّ التحليل (سواء كان نصّياً أو سياقيّاً) هو نتاج لذات محللة .. وتحليلٌ هذا شأنه لن يكون نتيجة الخصوصيات الموضوعية الملحوظة في حدود النصّ والسياق، بل هو أيضاً، وبالأحرى، بناء (ذهني) للخصوصيات التي يعزوها المحلل بصورة تذاوتية إلى النصّ أو إلى السياق، وهذا يصدق أيضاً على القارئ والمستمع الذي يقارب النصّ حدسيّاً))[٥]

---

[١] - مدخل إلى علم اللغة النصي: ٦٨ .
[٢] مدخل إلى علم اللغة النصي: ٦٨ .
[٣] - ينظر: مدخل الى لعلم اللغة النصي: ٧٠ .
[٤] - مدخل إلى علم اللغة النصّي: ٧٠ .
[٥] - النص بنياته ووظائفه : ٤٧ .

٧- **وظيفة النصّ:** من المعروف أنّ ياكبسون قد حدّد مجموعة من الوظائف للنصّ التي تتحكم بها عناصر العملية التواصلية ، وقد تتباين هذه الوظائف في هيمنتها على النصوص باختلاف النصوص، وكلما كانت إحدى تلك الوظائف هي الأكثر هيمنةً كان تحديد الفعل الكلامي الكلي لذلك النصّ أسهل، ويكون الأمر معكوساً في حال كثرة الوظائف وعدم هيمنة إحداهن. يقول فان دايك: ((فبالنظر إلى المقياس الوظيفي نجد أنّ النصّ ،مأخوذاً في كليته، سيقبل التأويل كوحدةٍ إذا كان يمارس وظيفة محددة))[١].

٨- **وظيفة المتكلم:** تعمل توجهات المتكلّم على تحديد الفعل الكلامي الكلي؛ فعادة ما يكون للمنتج أثرٌ في تحديد الخطابات لأنّه ينتج الخطاب بما يتوافق ووظيفته الاجتماعية أو الدينية أو السياسية أو غير ذلك، فمن الطبيعي أن يكون الفعل الكلامي الكلي لرجل الدين محدداً ضمن خطوط عامة يمكن عن طريقها حصر الأفعال الكلامية الكلية لهُ، وهكذا يبدو الأمر لخطابات رجل السياسة والدولة وغير ذلك .

يقول فان دايك: ((ويبرز كذلك مكان الفرد ودوره ووظيفته في هذه الأبنية الاجتماعية من خلال سلوكه اللغوي. وقد رأينا أن الفرد يجب أن يتصرف من خلال سلطة أو وظيفة محددة أيضاً لإنجاز أحداث لغوية معينة، مثل القاضي أو الراهب أو المدير . ويسري مثل ذلك على مضمون النصّ وشكله المعبّر عنه))[٢].

٩-**الاستعداد المعرفي:** ويتقارب هذا المصطلح كثيراً مع الخزين المعرفي للمتلقي ، يقول فان دايك: ((إنّ معارفنا وآراءنا وأفكارنا في اللحظة الحاضرة، تنتمي، في المقام الأول، إلى هذا الاستعداد، فقد بيّنا سلفاً أن المعرفة النصّية قوية التبعية لمعرفتنا بالعالم، وهذه المعرفة بالعالم تكون عامةً إلى حدٍّ ما وخاضعةً للمواضعة داخل المجموعة اللسانية))[٣]، وفائدة هذا الاستعداد هو تشكيل التأويل المجمل للنصوص من خلال أمرين هما؛ هو أن هذا التشكيل يكون في سياق محدد ومن قبل متلقٍ محدد أيضاً، بمعنى أن هذا المفهوم يكون خاصّاً بكلّ متلقٍ، لذا قد ينتج عنه تأويلات مجملة مختلفة باختلاف الذوات المتلقية واختلاف السياقات بالنسبة للنصّ الواحد .

الفعل الكلامي النصّي والسياق التداولي

من منطلق الجمع بين نظرية الفعل الكلامي وعلم اللغة النصّي الذي اعتمده فان دايك في تحليله للنصّ كان لا بدّ أن يبرّز العلاقة القائمة بين النصّ والسياق، ولاسيما أنّه وضعَ عنوان أحد كتبه المهمة تحت هذا المبدأ، إذ ((يقوم الاهتمام بالبحث النصي المتأثر بنظرية الحدث على تساؤلين : على كشف المبادئ التي تربط على أساسها هذه الأحداث الجزئية ، لتكون أبنية الحدث المركبة في النصوص من جهة ، وعلى تعريف السياق في أبنية الحدث في النصوص مع أبنيتها اللغوية المناسبة.))[٤]، فلا يمكن فهم النصّ بوصفه فعلاً لسانيا كليّاً إلا

[١] - النصّ بنياته ووظائفه: ٥٠ .
[٢] - علم النصّ مدخل متداخل الاختصاصات: ٢٧ .
[٣] -- النصّ بنيته ووظيفته: ٧١ .
[٤] - مدخل الى علم اللغة النصي: فولفجانج هاينيه: ٦٥ .

في سياقه التداولي، فمهمة السياق التداولي إيضاح الفعل الكلامي الكلي؛ ((تُستعمل النصوص، على الدوام، في سياق خاص. وهذا يقتضي، عند تحليل النصّ وفهمه، تحليلاً وفهماً للسياق أيضاً))[١]، ولكن كيف يتمّ هذا؟

يتكون السياق التداولي عند فان دايك من عدّة عوامل، ومن أهم ما أكّد عليه:

١-السياق الإدراكي لفهم النصوص

وينطلق هذا السياق من القارئ ((لكي يستطيع أن يستعمل نصّاً في وضعٍ تواصلي أن يفهم هذا النصّ))[٢]. وفهمُ النصّ يتطلب عدة ضوابط تمثل الترتيب الذهني للنص، وهي:

١-ترتيب متوالية الحدث.

٢-ترتيب ملاحظة / إدراك/ فهم متوالية الحدث.

٣-ترتيب نقل المعلومات.

٤-ترتيب قوى أفعال الكلام[٣].

ولذلك فمسألة فهم النصوص وتفسيرها أمر في غاية الأهمية بالنسبة للسياق الإدراكي، ولكن فيما يتعلق بالإدراك هو ما يُسمى التأويل الإدراكي التداولي، إذ ((إنّ التأويل التداولي الإجمالي للنصّ أي تحديد الأفعال الكبرى انطلاقاً من تواليات أفعال اللسان ليعد مهماً بالنسبة إلى التأويل الإدراكي (التداولي) لمتواليات أفعال اللسان وإنجازها وتوجيهها))[٤].

٢-السياق الاجتماعي النفسي: هيمنة النصوص

ويتعلق هذا بتأثير النصوص على مستعملي اللغة من ناحية التأثير الاجتماعي، إي إن هناك عوامل اجتماعية يكون لها أثر كبير في فهم النصوص، وهذا الأمر يتعلق بعلم النفس الاجتماعي. وقد أكد فان دايك أن هناك مبادئ لضبط السياق الاجتماعي النفسي، وهي:

١-مبدأ الوظيفة.

٢-التماسك الإدراكي.

[١] - النص بنياته ووظائفه: ٤٧ .
[٢] - العلاماتية وعلم النصّ: ١٧٤ .
[٣] - ينظر: النص والسياق: ٢٩٨ .
[٤] - العلاماتية وعلم النصّ: ١٧٤.

٣-التطابق الاجتماعي الشخصي[١].

(٣)السياق الاجتماعي النصّي: النصّ في التفاعل والتأسيس

ويتعلق هذا بالأوضاع الاجتماعية وأثرها في النصّ من حيث التفاعل؛ إذ ((توجد أوضاع ذات طبيعة عامة أو خاصة مؤسساتية أو غير مؤسساتية وفيها تأخذ بعض العبارات قيمة فعل اللسان: مثال هذه الأوضاع هي العائلة، والفطور، وفي الشارع، وفي الحافلة..))[٢]. وهذا الأمر له تأثير على فهم النصّ، لأن هذه الأوضاع تتألف منها أفعال اللسان وعن طريقها نستطيع أن نصل إلى الفعل الكلامي الكلي.

(٤)السياق الثقافي: النصّ بوصفه ظاهر ثقافية

ويتعلق هذا الأمر بالقضايا الثقافية في بنية المجتمع سواء أكانت قديمة أم حاضرة مثل الخرافات والأساطير والقصص الشعبية.

ويضيف فان دايك أمراً مهماً في الوصول إلى الفهم النصّي، وهو التحليل الانثروبولوجي، يقول: ((إن تحليلاً انثروبوجياً وعرقياً للنصوص ولأشكال التواصل لنوضح على نحو أكثر هذا العامل المتعلق بالمتغيّر الثقافي))[٣]، وهذا المتغير يعلمنا كيف نستعمل أو نصل إلى فهم النصّ بوصفه ظاهرة ثقافية من خلال النصوص ، فنعرف أي النصوص تُستعمَل في بعض الثقافات.

الفعل الكلامي الكلي والبنية الكبرى للخطاب:

على أنّ كلّ ما تمّ ذكره من محدداتٍ وموجهاتٍ لتحديد الفعل الكلامي الكلي قد لا تكون ناجحة في تحديد الأفعال الكلامية الكلية لكثيرٍ في النصوص الطويلة التي قد تتداخل فيها مجموعة من النصوص، لأنّ ((هناك مقامات ينتج فيها المتكلمون نصوصاً غير منسجمة، هذا من جهةٍ، ومن جهةٍ ثانية فإننا سنقف مترددين بصدد خطاب خاصّ بين اعتباره نصّاً واحداً أو مجموعة من النصوص))[٤]، وهنا لابدّ من الربط بين البنية التداولية الكبرى للنصّ وبين الفعل الكلامي الكلي، ((فمن اللازم هنا إدخال بنيات كبرى تداولية، حتى يتسنى لنا الحديث عن الوظيفة الإجمالية للنصّ))[٥]، وتجدر الإشارة إلى أن مفهوم البنية الكبرى عند فان دايك هو مفهوم نسبي، بمعنى أنها لم تكن كبرى في نفسها، بل هي كبرى بالقياس لغيرها من القضايا الصغرى التي أُشتِقت منها عن طريق القواعد الكبرى التي سنذكرها، وعلى هذا يمكن أن تكون القضية الواحدة كبرى في نصٍّ ما وصغرى في نصٍّ آخر، ((وكثيراً ما يُعلن عن القضية الكبرى داخل النصّ بواسطة جملة تيميّة. وهناك وسائل أخرى للتعبير

[١] - العلاماتية وعلم النص: ١٨١-١٨٢ .
[٢] - العالماتية وعلم النص: ١٨٣ .
[٣] - العلاماتية وتحليل النص: ١٨٧.
[٤] - النصّ بنياته ووظائفه: ٥٠.
[٥] - النصّ بنياته ووظائفه: ٦٨ .

عن البنيات الكبرى الكامنة للنصّ أو (تعيينها): (العناوين،الكلمات المفاتيح، إبراز الحروف، الملخصات))[١]، ومن أجل هذا يضع فان دايك مجموعة من القواعد الكبرى، وهذه القواعد لا يمكن أن تعمل إلّا على قاعدة معرفتنا بالعالم، فهي تعتمد معارفنا بما حولنا بشكلٍ أساس[٢]:

١-الحذف أو الانتخاب: وهو حذفُ جميعُ القضايا التي لا تمثل شروطاً ضروريةً لتأويل القضايا اللاحقة لها من النصّ أو بمعنى آخر اختيار القضايا التي يقتضيها التأويل. وهذه القاعدة تعتمد على الاختيار أو التلخيص عن طريق حذف الأفعال المساعدة التي لا تشكل حضوراً ضروريا في القضية الأساس، كأن يتمّ تلخيص صفحات حكايةٍ أو فصولها ما في قضايا كبرى ((يمكن أن ترجع بدورها بواسطة قواعد كبرى إلى قضايا كبرى من صنفٍ أعلى))[٣].

٢-التعميم: وهو تعويضُ متواليةٍ من القضايا تتضمنها كلّ قضية من قضايا المتوالية بقضية واحدة، فمع تعدد الأطفال (زيد، محمد، علي ..) الذين يلعب كلّ منهم بلعبةٍ مختلفة (الكرة، الدمية، ..) إلّا أنّه من الممكن جمعُ كلّ ذلك بجملة (الأطفال يلعبون باللعب).

٣-البناء: ويقصد به تعويض متوالية من القضايا بقضية واحدة تحيل إجمالاً على الوقائع نفسها التي تحيل عليها قضايا متوالية في مجملها، فالذهاب إلى المحطة وشراء التذكرة وحجز المقعد .. كلّها يمكن تعويضها بمفهوم السفر بالقطار.

ويربط فان دايك بين البنيات الكبرى والفعل الكلي للنصوص عن طريق تركيزه على (الذاكرة) بأنواعها ، سواء كانت ذاكرة العمل أم الذاكرة الطويلة الأمد ، فالقارئ ((لن يتذكر، بعد عدّة أسابيع من قراءته للنصّ، أكثر من بعض التيمات، التيمات الأكثر أهمية فقط، وبعبارة أخرى فإنّ البنية الكبرى هي التي تقاوم مبدئياً النسيان إلى حدّ ما))[٤].

ويخلص فان دايك إلى أن البنية التداولية الكبرى لها ((وظيفتان أساسيتان: فهي تنقص دمج المعلومات إلى أدنى مستوى، وفي ذات الوقت تنظم هذه المعلومات تبعاً لبعض المقولات الكبرى المحددة لوظيفة توابع التداولية وما يلحق بها (أو بنيتها الكبرى) بالنظر إلى المتوالية ككلّ))[٥].

وختاماً لا بدّ من القول إنّ عملية تحديد الفعل الكلامي الكلّي للنصّ ليس بالأمر السهل على الرغم من كل هذه المحددات الإجمالية التي وضعها فان دايك وناقشها ، فتعلّقُ الفعلِ الكلي بقصد النصّ يصعّب من تحديده

[١] - النص بنياته وظائفه: ٦٠ .
[٢] - ينظر: النص بنياته وظائفه: ٦٠ .
[٣] - النص بنياته وظائفه: ٥٩ .
[٤] - النص بنياته ووظائفه: ٧٠ .
[٥] - النصّ والسياق: ٣٢٠ .

واكتشافه، ولاسيما إذا عمدَ المنشئ إلى إخفاء تلك المقاصد اعتماداً على قدراته الأسلوبية وآليات التعتيم اللغوية التي يستعملها ، مما يجعل الفعل الكلي للنصّ الواحد متعدداً اعتمادا على قابليات المتلقي وتوجاته وقراءاته للنصّ، فضلاً عن معرفته بالمتكلّم التي تتراوح بين البعد والقرب، وما قد يصاحب ذلك من غياب سياق الموقف او حضور بعض أجزائه، ومنها غياب الحركات والإيماءت غير اللغوية التي تصاحب عملية إنتاج النصّ كحركة اليدين وتعابير الوجه وغير ذلك ممّا لا تسجله الكتابية عادة.

خاتمة

١- العمل الذي قام به فان دايك هو تطوير التحليل النصّي من نحو النصّ إلى نصيّة الفعل الكلامي، ومن ذلك عمله على (الفعل الكلامي الكلّي)،وهذا يعني أنّه لم يخرج من مجال اختصاصه الرئيس، وهذا ما أكده فان دايك ، إذ أراد التأكيد على نصية أفعال الكلام أو بالأحرى تحليل النصّ بوصفه فعلاً لسانياً تداولياً يتكون من سلسلة من الأفعال الكلامية .

٢-يرتكز تحديد الفعل الكلامي النصّي بشكلٍ كبير على السياقات التداولية وما يتكون منها من عوامل نفسية واجتماعية ، وكل ما يتعلق بأطراف الخطاب وإنجازاتهم اللغوية.

٣-لا يمكن إغفال البنى التداولية الكبرى في تحديد الفعل الكلامي النصّي، وهي تقع في قبال البنية النصّية الكبرى، لأن النصّ فعل كلامي تداولي.

٤-أشار فان دايك إلى محددات الفعل النصّي الكلّي ولكنه لم يشر إلى بعضها في الوقت نفسه.

٥-يحتاج موضوع الفعل الكلامي النصّ إلى الوقوف بشكل أوسع على أسسه ومنطلقاته ، فضلاً عن تطبيقات موسّعة لغرض الوقوف على محدداته ومناقشتها والإضافة إليها أو التعديل فيها.

المصادر:

- الأعمال اللغوية بحث في فلسفة اللغة: جون ر. سيرل، ترجمة: أميرة غنيم، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، تونس ، ط١، ٢٠١٥ .
- انفتاح النص الروائي النص والسياق: سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، بيروت -لبنان، ط٢، ٢٠٠١.
- تحليل الخطاب: براون ويول، ترجمة:د.محمد لطفي ودكتور منير التريكي، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعوية- الرياض، د.ط، ١٩٩٧.
-التحليل اللغوي النصي مدخل الى المفاهيم الاساسية والمناهج: كلاوس برينكر، ترجمة: ا.د سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٤.

– التداولية في البحث اللغوي والنقدي: ا.د بشرى البستاني، دار السياب، لندن، ط١، ٢٠١٢.

– التناول الحداثي للخطاب الشرعي الإسلامي وإشكاليات المنهج: البدائل المستعارة، د.عزوز بن عمر الشوالي، منشورات مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، مجمع الأطرش للكتاب المختص، ط١، ٢٠١٧.

– العلاماتية وتحليل النص: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء– المغرب، بيروت –لبنان، ط١، ٢٠٠٤ .

– علم النصّ مدخل متداخل الاختصاصات: فان دايك، ترجمة: ا.د سعيد حسن بحيري،دار القاهرة للكتب، مصر –القاهرة، ط١، ٢٠٠١ .

– فلسفة اللغة والمنطق دراسة في فلسفة ستراوس: د.السيد عبد الفتاح جاب الله، الوراف للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠١٤ .

– مدخل إلى علم اللغة النصي: فولفجانج هانيه، ترجمة:فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعوية– الرياض، د.ط،١٩٩٩.

– مدخل إلى علم لغة النصّ مشكلات بناء النص: زيتسيلاف واورزنياك، ترجمة: ا.د سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣.

– معجم تحليل الخطاب :باتريك شارودو– دمينيك منغو، ترجمة:عبد القادر المهيري وحماد صمود، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، تونس ، د.ط، ٢٠٠٨ .

–نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصّاً:الأزهر زناد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء– المغرب، بيروت –لبنان، ط١، ١٩٩٣.

– النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي: فان دايك، ترجمة:عبد القادر قينيني، افريقيا الشرق، المغرب، بيروت–لبنان، د.ط، ٢٠٠٠ .

–نظرية الأدب في القرن العشرين: مجموعة مؤلفين، ترجمة:د.محمد العمري، افريقيا الشرق، المغرب، بيروت– لبنان، د.ط، ١٩٩٦.

– نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية: هشام أ. عبد الله خليفة،مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط١، ٢٠٠٧ .

– نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام):أوستين، ترجمة:عبد القادر قينيني، افريقيا الشرق، المغرب، بيروت–لبنان، د.ط، ١٩٩١.